

في ذكر الفتن الخارجية

إن أكبر الفتن في هذه البلاد، فتنة الإلحاد والارتداد، وترون كثيرا من أهل الردّة يمشون في بلادنا كالجراد المنتشرة. ديسَ المسلمون تحت أقدام القسوس، وقُلبت قلوبهم وجُعلت طبائعهم كالثوب المعكوس، وشُغفوا بمكائد أهل الصلبان، ومسائل العصمة والكفارة والقربان. وترون أنهم يرغبونهم في دينهم بكل ذريعة وأداة، ولو بفتاة، ويجذبون كلّ ذي جماعة وبؤسى، إلى إله نُحِتَ بعد موسى، فيحيئهم كلّ من ارتاد مُضيفاً، ليقْتاد رغيفاً. ويسوق الجهلاء حادي السَّعْبِ، إلى البيع التي هي أصل البوار والشغب. ويرغبونهم في خفض عيش خَضِلٍ، وكانوا من قبل كابن سبيلٍ مُرْمِلٍ، وكان الطوى زاد جوى الحشا، فأثروا الرغفان على الدين كما ترى، وشربوا من كأسهم، وتلطّخوا من أدناسهم. وإنهم دخلوا ديارنا كطارق إذا عرى، فنوّموا الأشقياء ونفّوا عن السعداء الكرى، وضلّ كثير من تعلّماهم، ولُدغوا من حيواتهم، حتى صُبغوا بصبغتهم، ودخلوا فناء ملّتهم، وما كان فيهم رجل ينفي ما رأبهم، ويستسلّ السهم الذي انتابهم. ووسّعوا الحريرة

كل التوسيع، وفرّقوا بين الأمّ والرضيع، وارتدّ فوج من المسلمين، وكذبوا وشتّموا سيّد المرسلين. وترون الآخرين قد قاموا لتوديع الإسلام، وتكذيب خير الأنام. عُكمت الرحال، وأزِفَ الترحال. وقد أظهروا شعار الملة النصرانية، ونضّوا عنهم كل ما كان من الحلل الإيمانية. والذين تنصّروا ما تركوا دقيقة من التحقير والتوهين، وأضلّوا خلق الله كالشيطان اللعين. فالذين كانوا من أبناء المسلمين وحفدّهم، صاروا من جنودهم وحفدّهم، وأكملوا أفانين الكيد، ليتحاشوا لهم كل نوع الصيد.

ولا شك أنهم أفسدوا إفساداً عظيماً، وجعلوا إليها عظماً رميمًا، وخدعوا جهلاء الهند بطلاوة العلانية، وخبثة النية، وضيعوا دُرر الإسلام بروثٍ مُفضّض، وكنفٍ مُبيّض. وصرّفوا الناس من الهداية إلى الضلال، ومن اليمين إلى الشمال. يُصَلِّتون ألسنهم كالعُضْبِ الجَرَّاز، ويتركون متعمّدين طريق التعظيم والإعزاز. ويبيّعهم مُناخ للّيس، ومَحَطٌّ للتعريس. وما ترى بلدة من البلاد إلا وتجد فيها فوجا من أهل الردّة والارتداد، وقد تنصّروا بسهمٍ من المال لا بالسّهام، وكذلك أُغَيَّرَ على ثُلثِ ملة الإسلام، وسُلبَ منّا أحبابنا وعادى منّا واحي، ومُطرنا حتى صارت الأرض سُواخي. داخُوا بلادنا، وأحرقوا أكبادنا، وأفسدوا أولادنا.

وإنهم فرقة ثلاث في الفساد، وفي مراتب الارتداد: فرقة تركوا بالجهرة دين الأجداد.

وقوم آخرون ترى صورهم كالمسلمين وقلوبهم مجذومة من الإلحاد. قرأوا العلوم الجديدة، وأكلوا تلك العصيدة، وصاروا كالملاحدين. لا يصومون ولا يصلّون، بل تراهم على المتعبدين الصائمين ضاحكين، فهم أقرب إلى الإلحاد من الإيمان، وإلى الشيطان من الرحمان. لا يؤمنون بالحشر ولا بالجنة والنار، ولا بالملائكة ولا بوحى الذي هو مدار شريعة نبينا سيد الأخيار. دخلوا في بطن فلاسفة النصرانيين، فما خرجوا منه إلا في حلل الملاحدين. وثقوا بوميضهم وهو خلب، واغترّوا بصدقهم وهو قلب. اسودت صدورهم كأنها ليلة فتية الشباب، غدافية الإهاب، وما بقيت الآذان ولا العيون، وغشيهم كبر الفلسفة كما يغشى الجنون. ويقولون إننا نشرب النقاخ، والعامّة لا يتجرعون إلا الأوساخ.

وقوم دونهم لبسوا لباس النصرانيين، ويقولون إننا نحن من المسلمين، ومع ذلك فرغوا من الصلاة والصيام، وإن كانوا لا يضحكون على الإسلام. لا ترى شيئاً معهم من حلل أهل الإيمان، بل ترى شعارهم كشعار أهل الصلبان. لا يتزوّجون إلا بناتهم، ولا يحمدون إلا حصاتهم. شروا بالدنيا الشرع والورع، كرجل أجبأ الزرع. وإذا معنت النظر في وسمهم، وسرحت الطرف في ميسمهم، ما ترى على

وجوههم آثار نور المؤمنين، ولا سَمَتَ الصالحين. فهؤلاء أحداثٌ
 قومنا يُتَكَا عليهم في الأيام المستقبلية، ويُذَكرون بالثناء والمحمدة؟
 وترون الإسلام في زماننا هذا كأسيرٍ يُحْبَس، أو كدَرِيَّةٍ تُدْعَس.
 والذين يقرؤون في مدارس القسوس من الصبيان، ترى أكثرهم
 يشابهون أهلَ الصلبان. تركوا النظيف، وآثروا الجيف، وتقمَّأوا
 روثَ الضلالة، كما كانوا يتقمَّأون عظام العلوم المروَّجة، وما
 خرجوا من المدارس حتى خرجوا من الملة. وعلى الخَرءِ تَدَاكثوا،
 وعلى القدر تكأكأوا. وإن الذين يدرِّسون من النصارى شرُّهم أكبر
 وتأثيرهم أعظم من قسوس آخرين، وإن أكثر صبيان ديننا يقرؤون
 في مدارس هذه المضلِّين، فإنَّا لله على حالة المسلمين.

وتأتي نساؤهم المحرَّرات في بيوت أهل الإسلام، ويوسوسنَ في
 صدورهن بأنواع الحيل والاهتمام، وقد يرتد أحدُ منهن فيُخرِجنها
 كالسارقين، فيجري ما يجري على قلوب المتعلقين.

وقد يحصل لهم كثير من يتامى هذا الدين، فينصِّروهم وهم أوف
 عندهم ويزيدون كلَّ يومٍ من قوم مجديين ومن الذين ماتت آباؤهم من
 الطاعون أو حوادث أخرى، فقَمَشَهم القسوس من الأرضين، فلبثوا
 كرهنةٍ لديهم حتى صاروا من المنتصرين. وعُرِضَ عليهم الخنزير
 فأكلوه، وقيل لِسَبِّ المصطفى فسبُّوه، وصاروا أوَّل الكافرين.